الفصل الثامن

تيسير الكتابة العربية
النزاع بين الحروف العربية والحروف الاعجمية

من المسائل التى عنى بها مجمع اللغة العربية :- مسألة تيسير الكتابة « وجعلها صالحة لضبط النطق بألفاظ اللغة » وكان ذلك منذ شهر يناير ١٩٣٨ حين قرر المجمع تكوين لجنة تنظر فى هذا الموضوع مهمتها « أن تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار فى ذلك لتيسير القراءة العربية الصحيحة على ألا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة عن أصول أوضاعها العامة » ...

ولما انعقد مؤتمر المجمع فى فبراير ١٩٤١ اقترح عبد العزيز فهمى(باشا)وضع طريقة لرسم الكتابة العربية تقى القارئ اللحن والخطأ — وما لبث وزير المعارف أن كلف المجمع « درس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية » ، وبعد مناقشة طويلة قرر المجمع

إحالة دراسة تيسير الكتابة العربية إلى لجنة الأصول التى ألفها المجمع لهذه المناسبة فى جلسة ٨ فبراير ١٩٤١ .

وكونت لجنة الأصول هذه لجنة فرعية من بين أعضائها عكفت على البحث وتلقى مقترحات الباحثين .

وفى أبريل ١٩٤١ تقدم المرحوم على الجارم (بك) عضو المجمع إلى لجنة الأصول بمشروع يرمى إلى تيسير الكتابة العربية يقترح فيه وضع زوائد وعلامات مخصوصة لشكلات الحروف على اختلافها ، واشتغلت لجنة التيسير الفرعية بتحسين هذا المشروع .

وفى جلسة ٣ مايو ١٩٤٣ تقدم عبد العزيز فهمى (باشا) باقتراح إبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية « للتمكن من الكتابة ومن النطق صحيحين » فأحيل الاقتراح على لجنة الأصول .

وفى نوفبر ١٩٤٣ عرضت لجنة الأصول على هيئة المجمع مشروع الجارم (بك) منقحاً ، فاعترض عليه عبدالعزيز فهمى (باشا) والشيخ ابراهيم حمروش بمذكرتين رد عليهما الجارم (بك) بمذكرة ، وانتهى الأمر فى لجنة الأصول إلى « تقديم مشروع على الجارم (بك) إلى مؤتمر المجمع الذى ينعقد فى يناير ١٩٤٤ » .

وفى يناير ١٩٤٤ اقترح عبد العزيز فهمى (باشا) اتخاذ الحروف

اللاتينية لرسم الكتابة العربية فطلب إلى معاليه تقديم مذكرة فى هذا الشأن ليتسنى للأعضاء مناقشة الموضوع فقدمها .

وبعد أن فرغ المؤتمر من نظر المقترحين والمناقشة فيهما قرر طبعهما ونشرهما بما دار حولها من ردود لينشرا فى الأقطار العربية وليكون ذلك نوعاً من تنوير الأذهان إذا ما أريد الوصول إلى نتيجة فى أمر التيسير . وقرر المجمع فى الوقت نفسه وضع جائزة كبرى لأحسن اقتراح يقدم إليه فى تيسير الكتابة العربية .

وخلاصة مشروع الجارم بك فى تيسير الكتابة العربية أنه يبقى على جوهر الرسم الأصلى مع وضع حركات جديدة متصلة بالحروف لاصقة بها ، وهو يقوم فى نفس الوقت على أساس من التخفف فى استخدام العلامات الإعرابية اعتماداً على قواعد معروفة فى علم رسم الحروف ، فهو مثلا لا يريد أن تثبت الحركة التى تسبق حروف المد استئناساً بحرف المد نفسه ، وأن تحذف الفتحة لكثرة شيوعها ، فلا يكون إثباتها إلا إذا كانت علامة لياء أو واو فى وسط الكلمة فى أمثال هيف وأود ، وأن يستغنى عن وضع العلامات الإعرابية فى نهاية الجمل اعتماداً على سكون الوقف ، وأن تكتب الكلمات على حسب النطق بها ، فلا

يحذف حرف ينطق به ، ولا يكتب حرف لا ينطق به ، باستثناء همزة الوصل واللام الشمسية . وتكلم الجارم بك عن طريقة تنفيذ مشروعه فى الطباعة ...

وقد أخذ على اقتراح الأستاذ الجارم(بك)أنه يزيد الكتابة العربية تصعيباً ، لأنه خروج عن مألوف الرسم الذى اعتادته العيون زمناً طويلا ، ولأنه يحتم إثبات الشكل متصلا بالحروف — الأمر الذى يمكن فى الرسم الحالى أن نتخفف منه فى أردنا ، كما يؤخذ عليها أنها إن عصمت القارئ فلا تعصم الكاتب ، لأن الصعوبة ليست فى إثبات رمز الحركة الإعرابية (الضمة والفتحة والكسرة) وإنما هى فى معرفة ما يرفع وما ينصب وما يجر ، وهذا أمر يرجع إلى اللغة لا إلى الكتابة ، كما يؤخذ عليها كذلك أنها رغم محاولتها إحكام الضوابط لا تمنع من تصحيف القراءة ، كما يعاب عليها أن « تصميم » العلامات الإعرابية فيها مجهل للرسم الحالى ، لبعد ما بينهما ، فضلا عما ينشأ من استخدامه من تشويه جمال الخط العربى ، وإن دفع فى ذلك بان الاخصائيين فى تجويد رسوم الكتابة كفيلون بصوغ هذه العلامات المقترحة فى قوالب جمالية تقضى على الاعتراض . على أن هذه الشكلات

المقترحة فى مشروع الجارم بك ، إن أمكن استخدامها فى خط النسخ ، تعذر ذلك فى خطوط الرقعة ، وهى الخطوط الأكثر تداولا بين الناس فى أداء أغراضهم اليومية العاجلة ، كما أن هناك بضعة ملاحظات أخرى اعترض بها أعضاء المجمع على هذه الطريقة ، وقد أفاض عبد العزيز فهمى (باشا) فى نقدها . وأدت المناقشات كما قدمنا إلى ضرورة عرض مشروعى التيسير والاستبدال وما دار حولهما على كافة الناطقين بالضاد ، لعل منهم من تخطر له فكرة سديدة للاصلاح يسديها إلى العربية ، قرائها وكتابها .

ورأى بعض أعضاء المجمع ضرورة الإبقاء على الرسم الحالى مع تيسير يدخل عليه بحيث يؤدى كل حرف صورته الصوتية صادقة . وبحيث يكون فى تيسيرها ما يخدم الطباعة العربية ، فيوفر الوقت والنفقات .

ومنهم من يعارض أشد المعارضة فى تغيير الرسم اعتماداً على أن الكتابة العربية أمكنها أن تدل وأن تفصح عن أصوات لغات ولهجات أجنبية فى عصور مختلفة كالإسبانية القشتالية التى كتبت بالحرف العربى زمناً ، ولغة الأردو التى لا تنال تكتب بالحروف

العربية ، ولغة أهل الملايو التى ما برحت تتخذ الرسم العربى لكتابتها .

ومن أوجه الاعتراضات وأقيمها أن استبدال الحروف العربية بغيرها أو محاولة تيسيرها تيسيراً يبعدها عن صورتها المألوفة للأعين منذ القدم ، من شأنهما معاً أن يقطعا الصلة بين الماضى والحاضر، وفى ذلك ما فيه من قضاء على ميراثنا الأدبى .

قدم النزاع بين الحروف العربية والحروف الأعجمية

كانت الكتابة العربية فى انتشارها مع الإسلام غازية قوية التأثير كما أسلفنا ، استخدمها الفرس لكتابة لغتهم الفهلوية والأفغانيون لكتابة لغتهم الباميرية ، كما اتخذها الهنود لكتابة الأردية الهندوستانية ، وسكان أرخبيل الملايو لكتابة لغاتهم الخاصة ، كذلك كان تأثيرها فى محيط الأمم التترية والتركية غالباً ، فقد عرفها واستخدمها فى كتابة لغاتهم الخاصة أهل المناطق الواقعة بين سيحون وجيحون والممتدة حول بحر قزوين وشمالى الأسود وجنوبى الأورال وجنوبى الروسيا ، وعم استخدامها شبه جزيرة الأناضول لكتابة اللغة التركية العثمانية ، ودخلت أوربا عبر بحر مرمرة وجاورت الحروف اللاتينية فى شرق القارة فى زمن متأخر

بالنسبة لأول احتكاك لها مع هذه الحروف فى الغرب .

لم ينقض القرن الأول الهجرى حتى كانت الكتابة العربية معروفة فى إسبانيا يكتب بها عرب الأندلس فى أغراضهم الدينية والدنيوية معاً . واتخذ العرب المتحولون إلى النصرانية بعد زوال دولة العرب من الأندلس الحروف العربية لكتابة الإسبانية ، كتب بها القشتاليون (من المتنصرين فى الظاهر) كتب الحديث والفقه والتصوف ، كما كتبوا القرآن ، وترجمته القشتالية بهذا الخط ، ولا تزال تحتفظ بعض المجموعات الخطية الأثرية بنماذج من هذا النوع ، وكانت هذه أول مغالبة انتصرت فيها الحروف العربية انتصاراً حقيقيا على الحروف اللاتينية فى كتابة لغة أعجمية ، وليس يهمنا فى هذا المجال أن نتقصى البواعث التى جعلت انتصار الكتابة العربية أمراً محققا — أهى بواعث من الفن جعلت الكتابة العربية فى صورتها التذكارية « الكوفية والثلثية » مفضلة بين لاتين الجنوب يؤثرونها لجمالها على حروفهم الخاصة فى زخرفة المبانى والأنسجة والعملة ، أم هى بواعث من الدين والمحافظة على القديم جعلت « المدجنين » — وهم العرب المتنصرة بعد زوال سلطان الإسلام من أسبانيا — يحتفظون بها لكتابة تراثهم الدينى والفكرى؟

ومهما يكن من الأمر ، فإن هذه الحقيقة يجب أن تسجل على الزمن ليعرفها الناس فى مجال الصراع بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فى وقت شخصت فيه بعض الأبصار إلى اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العربية رغبة فى التجديد أو وسيلة للضبط .

وما تزال الهولندية تكتب بالحرف العربى فى جنوب أفريقية حتى الآن ، ولسنا نعلم على وجه التحقيق متى وكيف اتخذها القوم لكتابة اللغة الهولندية ، وهل كان اتخاذها لكتابة هذه اللغة بتأثير أتى جنوب أفريقية من العرب المستوطنين فى ساحلها الشرقى من قديم ، أم كان بتأثير العلاقات بين شعوب أفريقية السنغالية وبين هؤلاء على طول الزمن ، أم كان ذلك بتأثير هجرة أهل الملايو الذين اتخذوا الحرف العربى منذ زمن مبكر – إلى هذه الجهات.

وقد استطاعت الكتابة العربية أن تغزو لغات السلاف فى البوسنة والهرسك منذ فرض الأتراك سلطانهم الأدبى على تلك البلاد.

وإن دل ذلك كله على شىء فهو كبير الدلالة على قوة غزو الحروف العربية ، وصلاحيتها بشىء من التعديل والابتكار لتأدية الأصوات والمخارج فى كثير من لغات العالم — فاذا كان

ذلك كذلك، أمكن أن تصبح الكتابة العربية —على أقل تقدير— موفية لأغراضها الخاصة ، كافية للتعبير الكامل عن اللغة التى وجدت منذ البداية للإفصاح عنها والدلالة على أصواتها ، فإذا ما كان بها عوار يمنع من تمام التأدية ، وينقص من تمام التوفية ، فالإصلاح سبيل هذا الكمال ، على أن يكون الإصلاح الذى يتناول العرض ولا يصيب الجوهر .

وأنصار الإصلاح فريقان :

أحدهما يرى العدول كلية عن الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية مع إدخال عدد من الحروف العربية التى لا نظير لها عند اللاتين على الأبجدية اللاتينية ، لتصبح موفية بكل المخارج وصالحة لأداء كل النغمات .

وثانيهما يرى الإبقاء على الرسم العربى مع إدخال التعديلات التى تكفل التغلب على صعوبة القراءة السليمة المطابقة لقواعد الأعراب ، وتغنى عن الشكل بصورته الحالية ، أو على الأقل تختزل فيه فتقلل من استخدامه إلا فى حالات الاقتضاء الشديد .

وأنصار هذا النوع من الإصلاح يريدون الأبقاء على صور

الحروف العربية كما هى، حتى لا تنقطع الصلة بين الحديث والقديم ، فيكون من ذلك فقدان تراث فكرى عربى على جانب كبير من الأهمية والقيمة . وعلى رأس أنصار اتخاذ الحروف اللاتينية عبد العزيز فهمى (باشا) عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية، الذى توفر على دراسة العيوب الحائقة بالعربية حتى انتهى إلى أن رسم كتابتها إنما هو علة العلل وكارثة الكوارث .

وخلاصة الرأى عنده أن هذا الرسم العربى رسم لا يتيسر معه قراءة النصوص العربية قراءة « مسترسلة مضبوطة لخير المتعلمين» وذلك « لخلوه من حروف الحركات » ، وأن « الاستعاضة عن حروف الحركات بالشكلات للفتح والضم والكسر والسكون والمد والشد والتنوين وسيلة أثبت العمل عدم غنائها ، بل ظهر أنها مجلبة لكثير من الأضرار . . . لأن الشكلة المنفصلة عن الحرف كثيراً ما تقع على حرف قبله أو بعده لعدم ضبط يد الكاتب الأصلى أو الناسخ أو الطابع » .

فاذا استغنى الكاتب عن الشكل كما هو الحال فى الصحف وكتب الأدب وكافة الأعمال بالدوائر الحكومية وغير الحكومية،

بدت « الكلمة مركبة من حروف أصوات جوهرية لا تعرف حركاتها » ، فيصحفها القارئ غير المتمرن على جميع أوضاع الحركات التى تحتملها الحروف . . .

ويعزو عبد العزيز فهمى (باشا) بعض تأخر الشرقيين إلى هذه المشقة اللغوية ، فقواعد العربية عنده عسيرة ورسمها مضلل ، وكثيراً ما تحتبس أفكار الناس فى صدورهم فلا تنشر بالكتابة أو الخطابة خوف انتقاد العبارة ، وهكذا تموت الفكرة القيمة أو تنشر على الناس باحدى اللغات الأجنبية .

وهو يستدل بالمشاهد على أن الأمم التى تستعمل حروف الحركة فى كتابتها هى الأمم الراقية علمياً وصناعياً بخلاف الأمم التى لا حروف حركة عندها . . . وهو يستثنى اليابانيين الذين اشتهروا بالتقدم العلمى والصناعى رغم خلو كتابتهم من حروف الحركة ، يقول : هؤلاء عرفوا منذ زمن بعيد اللغة الانجليزية واللغة الألمانية وغيرهما من اللغات ، تعلمها علماؤهم وطلبتهم فى الجامعات التى أنشأوها فى بلادهم .

ويخرج عبد العزيز فهمى باشا من ذلك إلى أن « أول واجب على أهل العربية هو أن يبحثوا عن الطريقة التى تيسر لهم كتابة

هذه اللغة على وجه لا تحتمل فيه الكلمة إلا صورة واحدة من صور الأداء » ، علماً بأن تشكيل الكلمات ضار بسبب ما قد ينشأ من وضع الشكلة فى غير موضعها لعدم ضبط يد الكاتب أو الناسخ أو الطابع — وإذن فلا معدى عنده من التفكير فى طريقة أخرى تؤدى هذا المراد .

وفكر عبد العزيز فهمى (باشا) طويلا فى أمر إصلاح الكتابة العربية وتيسيرها ، فلم ينته التفكير به إلا إلى طريقة واحدة : هى اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركة بدل الحروف العربية كما فعلت تركيا — فقد أفادت ، كما يقول طريقة اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة التركية فائدتين :

أولاهما : إن الطفل التركى أصبح بعد قليل من الزمن يستطيع قراءة أى كتاب قراءة صحيحة لا تحريف فيها ، وإن لم يفهمه .

وثانيتهما : زوال الأمية فى تركيا زوالا يوشك أن يكون تاماً .

ويرد عبد العزيز فهمى (باشا) على الاعتراض الذى يوجه إليه من أن الكتابة بالحروف اللاتينية تستغرق عملا أكثر ووقتاً أزيد ،

بسبب ما تتضمنه الكلمات فى المقترح الجديد من حروف الحركات بأن «كل تدقيق وإتقان يستلزم بالبداهة من المدقق ومن المتقن عملا أزيد ووقتاً أطول» .

كما يرد على اعتراض آخر فحواه أن الطريقة الجديدة من شأنها أن تقطع الصلة بين الجيل الجديد وبين مخلفات السلف فى العلوم والفنون والآداب، بأن ذلك يمكن علاجه بانفاق مبلغ من المال يرصد لطبع أمهات المعاجم اللغوية وأمهات كتب الأدب والعلوم والفنون بالحرف الجديد .

وفى مشروع عبد العزيز فهمى (باشا) ضرورة لاستخدام الأحرف العربية التى لا نظير لها فى اللغات اللاتينية «بصورتها العربية» وهى الهمزة والجيم والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين — فهذه الأحرف العشرة يجب أن تؤدى بذات رسمها العربى .

ومشروعه يستعيض عن الشدة بتضعيف الحرف ، والمدة برسم علامة لها فوق الحرف ، كما يلاحظ أنه جعل للثاء والذال والشين صوراً لاتينية من حرف واحد .

ويزيد عبد العزيز(باشا)فى بيان طريقته وإيضاح دقائقها ، ويتلقى الاعتراض عليها ، ويعود فينافح عنها فى ثقة واعتداد بالرأى ، كل ذلك مذكور مفصل فى الكتاب الذى طبعه ونشره مجمع اللغة العربية ، وضمنه كافة نصوص المذكرات والمناقشات التى دارت فى مؤتمر المجمع ١٩٤٤ لمناسبة ما أبدى من الرغبة فى تيسير الكتابة العربية .

وليس لنا فى مجال العرض أن نحبذ أو نلوم ، فنحن نروى قصة الكتابة العربية ، نقول ما لها وما عليها ، ولا ندافع إلا بالقدر الذى تقضى به مزاياها الخاصة .

والكتابة العربية جديرة بأن ينظر فيها من جديد ليقرر أبناء العربية بقاءها على حالها ، أو ليدخلوا فيها مايرونه كفيلا بطمس عيوبها — وجلاء حسناتها .

وليس من شك فى أنها عسيرة ، ولكنه العسر الهين على كل من يتوفر عليها ، يقال هو عسر كل شىء قيم فى هذه الحياة !

* * *

ومن عجب أن تطالعنا الصحف فى هذه الأيام — وفى الوقت الذى يترقب فيه مجمع اللغة العربية ورود الاقتراحات

التى قد يتقدم بها أصحابها بقصد تيسير الكتابة العربية لينظرها المجمع ويقطع فيها برأى — فى هذا الوقت تتوافد الأنباء من أمريكا بأن السيد نصرى خطار العربى الأصل قد استحدث لشركة الآلات الصناعية حرفاً عربيا جديداً تحققت الشركة من مزاياه وقررت استعماله فى آلتها الكاتبة !

والحروف الجديدة ليست لاتينية وإنما هى حروف عربية مشتقة من الحروف الأصيلة ومنفصلة بعضها عن بعض أين وقعت من الكلمة .

وانتهزت الشركة الأمريكية فرصة اجتماع مندوبى الدول العربية فى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك فعرضت عليهم الحروف الجديدة .

ومهما قيل فى شأن هذه الحروف الجديدة وفى مزاياها الميكانيكية والطباعية ، وفيما توفره من الوقت بسبب تفريد حروفها ، ومن الحيز بسبب تساوى جميع حروفها فى الطول ، ومن خفض تكاليف الطباعة ، وما إلى هذا وذاك من أوجه الترويج للآلة الكاتبة الأمريكية — نقول مهما قيل فى أمر هذه الحروف ، فهى مجرد اقتراح نرجو أن يجد طريقه إلى مجمع اللغة

العربية ، فهو وحده الهيئة الفنية الوحيدة التى يحق لها أن تقرر للناطقين بالضاد فى كافة أنحاء المعمورة حروفهم الجديدة — أما أن تفرض على العالم العربى حروف من نيويورك فأمر يصعب أن يتحول إلى حقيقة مهما بذلت دوائر المال الأمريكية فى سبيل الترويج له — وبغير إقرار المجمع اللغوى فى القاهرة لهذه الحروف لن يقدر لها أقل رواج ، وذلك لأنه ،لا بد ، طبقاً لنصوص المعاهدة الثقافية بين الدول المشتركة فى الجامعة العربية ، من توحيد الثقافة بكافة مناحيها ، والكتابة واللغة أساسان فى كل ذلك ، وليست اللغة أو الكتابة بالأمر الذى يتحكم فيه الأفراد والشركات ،والأجماع فى مسائلهما والإتفاق على كل مايراد بهما من حيث التيسير أو الاصلاح أمر فوض فيه مجمع اللغة العربية بحكم تشكيله وطبيعة مهمته .

رقم الإيداع	١٨٦٩ / ١٩٨٤
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٧٣٢-٢

١ / ٨٣ / ١٨٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)